



اسم المقال: وماذا ان اخطأت فرنسا في موضوعة العراق

اسم الكاتب: عبد الحميد الموساوي

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/32>

تاريخ الاسترداد: 2025/05/04 04:34 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.

لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political – يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام

المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسية جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً
شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي يتضمن المقال تحتها.





وماذا ان اخطأ فرنسا في موضوعة العراق

بقلم: باسكال كوش (Pascal CVUHE)

ترجمة: عبد الحميد الموساوي (٢٠٠٣)

لقد خرج الاتحاد من هذه الازمة اكثراً انقساماً مما كان عليه في السابق، سواء على مستوى الدول الخمسة عشر، او اتجاه الاعضاء الجدد وهو ما يجذب بتعقيد ليس فقط نجاح توسيع الاتحاد، لكن كذلك البناء الفعلي الاوروبي السياسي الغائب على الساحة الدولية بشكل ملموس.

Politique étrangère

لقد كان الذهول كبيراً عندما تبين من خلال قراءة استطلاع قامت به قناة فرنسا الاولى^(١)، اذ واحداً من بين كل ثلاثة من الفرنسيين من الذين سئلوا كانوا يتمنون انتصار العراق في الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية معتبرين هكذا الوزير الاول، جون بيار رافران، على القول بأنه يجب ان لا تخطي في تحديد العدو.

وقد اظهر الاستطلاع نفسه ان ٤٣% فقط من الفرنسيين الذين سئلوا كانوا يشعرون "انهم اكثراً ميلاً" الى جانب الولايات المتحدة الأمريكية والبريطانيين.

واذا لم يكن احد يشك في كون الرأي العام الفرنسي كان مناهضاً في اغلبيته للحرب، فإن القليلون هم أولئك

باعتراضها على الولايات المتحدة الأمريكية بخصوص الشأن العراقي، كانت فرنسا قد راهنت على الأمم المتحدة، وقد خسرت هذا الرهان. لقد خرجت فرنسا ضعيفة من هذه الازمة، فيما كان الانتصار العسكري للولايات المتحدة الأمريكية يبدو وكأنه اعطى المزيد من المصداقية لانتصار استخدام القوة باعتبارها الوسيلة الرئيسية في العلاقات الدولية.

ففي عالم ما وراء الأطلسي يبدو انه وبعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية عرضة للمخاطر المستمرة ويمكن الوصول اليها. ان الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد مصدر الثقة في ميكانيكيات الامن الجماعي من اجل ضمان امنها.

لقد انتهت الولايات المتحدة خيار استخدام القوة العسكرية، عائدة بذلك الى المفهوم التقليدي للقوة بشكل اكثراً مما كان عليه الحال في العقد المنصرم. ومن الجانب الآخر، فإن فرنسا، ومن خلال خسارتها لذلك الرهان، قد جرت هذه الخسارة كذلك على الاتحاد الأوروبي.

^(١) باسكال كوش، محامي في احدى الوزارات الفرنسية، يحمل شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة باريس الثالثة.

^(٢) ابحث في مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة يقدار.

ان مثل هذا الخليط او المزيج لا يمكن ان يفضي، على المدى البعيد الا الى غموض وليس في القيم، والى سياسة فرنسية معارضة للولايات المتحدة الامريكية عوضا عن شرعة التيار المتضاد والمعادي للولايات المتحدة الامريكية.

طفو القارات* نظرية قائلة بأن القارات تطفو على سطح جسم لزج (المترجم)

ان التباعد المتزايد بين الولايات المتحدة الامريكية و اوروبا العجوز "غداة احداث الحادي عشر من ايلول حول نظرتهما للعالم تكشف عن مرض خطير يدفعنا الى تخمين امكانية حدوث طلاق بين ضفتي المحيط الاطلسي.

ان الانفصال الجسدي بين اوروبا والولايات المتحدة الامريكية بمناسبة الازمة العراقية يكشف في الواقع عن تباعد عميق حول رؤيتهما على التوالي للعالم وهو ما يقودنا الى التمعن في المستقبل نفسه للعلاقات الاطلسية عبر المحيط.

التشبه كذبا بالديغولية

ان السياسة الخارجية التي قادها الرئيس جاك شيراك ووزير خارجيته دومينيك دوفيلبان بمناسبة الازمة العراقية قد رحب بها ونظر اليها كعودة فرنسا الى رقعة الشطرنج الدولي، سامحة للرئيس باضفاء مسلاك ديجولي على دبلوماسيته، ولكن مع تراجع هذه السياسة وانحسارها يبدو ان

الذين كانوا يذهبون الى حد الاعتقاد ان جزءا غير هامشي من الرأي العام كان يتمتع بانتصارا الطاغية ضد قوات التحالف، متتجاوزين بذلك ثوابتنا وسلم قيمنا الأساسية، التي هي في الاجمال حماية قيم الديمقراطية الليبرالية.

ان الولايات المتحدة الامريكية التي كانت تعتبر كحامية لمثل الحرية والديمقراطية في العالم منذ زمن بعيد، أصبح ينظر اليها، من هنا فصاعدا، من قبل جزء متزايد من الرأي العام، كنموذج منافق، وهو ما يتركتنا نؤمن بـ"طفاؤة القارات"^(2).

لقد انهار فجأة الرصيف الهائل من التعاطف الذي جمعته الولايات المتحدة الامريكية غداة احداث الحادي عشر من ايلول، تاركا مكانة لمعارضة عنيفة متهمة الرئيس الامريكي جورج والكر بوش بشكل خاص.

ان "محور الشر" (العراق، ايران وكوريا الشمالية) الذي اخبرت عنه واشنطن لم يكن -هكذا- سوى بتکار للولايات المتحدة الامريكية، وهو ائتلاف من الدول البايسنة الفقيرة والضعيفة، ضحية الهيمنة الخطيرة لامبراطورية منحرفة.

ان العدوان على الشعب العراقي المخالف للقانون الدولي، كان من الممكن ان تقوم به وتقوده دولة في طريق التراجع الديمقراطي بقصد البحث عن شرعية لقوتها من خلال القيام بالحرب المستمرة ضد ضعفاء الكراة الارضية^(3).

طورتها ابتداءً من عام ١٩٦٠، فلأنها كانت واعية أن الولايات المتحدة الأمريكية هي وحدها القادرة بشكل نهائي على ضمان وحدة أوروبا الغربية. وبغض النظر عن الأزمات الظرفية التي كانت تمس الحلف الأطلسي، فإن الغربيين كانوا يمتلكون مجموعة مصالح حقيقة: - إنهم كانوا يبنون هكذا وحثّهم ضد تهديد الاتحاد السوفيتي.

ومن جانب آخر فإن الجنرال ديغول كان يدرك جيداً، أن فرنسا وبما لها قوة نووية متوسطة فإنها كانت لا تمتلك الوسائل للوقوف وجه لوجه ضد رعامة الولايات المتحدة الأمريكية.

إن عدداً لا يأس به من علماء الاستقلالية الوطنية للسياسة الدبلوماسية كانت في شكلها الواسع ميّزة كلامية فقط وفي النهاية كانت سياسة تابعة إلى مبدأ الواقعية.

لقد ابتدت فرنسا أثناء الأزمة العراقية عن مبدأ الواقعية بشكل واضح.

إن الدبلوماسية "النابية" لجاك شيراك ووزير خارجيته دوفيليان في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية كانت تتطلب بالضرورة وفي الواقع قوة حقيقة لا تمتلكها فرنسا.

إن القرار الأحادي الجانب للولايات المتحدة الأمريكية في سحب المسألة العراقية من الأمم المتحدة من أجل تعجب خطير شجاعها أثناء التصويت على قرار جديد، يبين بما لا يقبل

هذه المقارنة لم تصمد أمام كل التحاليل.

فإذا كانت سياسة الجنرال ديغول الخارجية مرتكزة على تأكيد الاستقلال الوطني لفرنسا، ونبذ الرغبة في التحرر من الوصاية الأمريكية، فإن المعارضة للولايات المتحدة الأمريكية لم تكن معارضة وجه لوجه إلا نادراً. إن فرنسا الجنرال ديغول لم تكن تبحث حقيقة عن التصدى لمخططات الولايات المتحدة الأمريكية عندما تقدم هذه الأخيرة على عمل يهدف إلى المحافظة على مصالحها الحيوية. وعلى أية حال عندما كانت المعارضة تلك تهدى بتدخل فرنسا في الضفة الأخرى للأطلسي، فإن الجنرال ديغول كان يأخذ حذره ويعمل على الحفاظ على المفبرد، ومعناها المحافظة على علاقات غير أطلسية قوية فوق الانقسامات الطاهرية وذلك كانت الحالة لحظة ازمة الحلف الأطلسي عام ١٩٦٦ عندما كانت المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية تتعرض للخطر، كما كان الحال في عام ١٩٦٢ أثناء زمرة كوبياً. لقد بقيت فرنسا دائماً إلى جانب حليفتها الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا التحفظ كان يجد تفسيره منطقياً في الحرب الباردة ومنطق سياسة الكتل، إذ فرنسا كانت تنظر في حينه إلى الحلف الأطلسي كوسيلة لضمان حماية مصالحها الحيوية، وعلى الرغم من سياسة الردع النوويّة التي

على الشرعية الدولية والعمل مع المجتمع الدولي، ان الاستراتيجية الفرنسية على هذا الشكل لم تتمح في الحقيقة اي فرصة للتراجع، وكان الانتصار هو المخرج الوحيد، ومعناها القرار باخضاع الولايات المتحدة الامريكية الى رغبة الامم المتحدة.

ان كل رفض من الولايات المتحدة الامريكية للالتزام بقيادة تحالف ناجح في العراق لم يكن يفضي في الحقيقة الا الى رفض اللعبة المتعددة الاطراف.

لقد خسرت فرنسا المباراة الدبلوماسية في حين تحولت اللعبة الى ميدان آخر، هو ميدان الحرب.

ان فشل فرنسا في محاولة عرقلة الولايات المتحدة الامريكية حول ثلاثة نتائج ممكن حصولها فيما وراء الازمة العراقية تكون لها ارتادات وانعكاسات على المدى البعيد.

ويمكن ان تتلخص هذه النتائج او الآثار في كلمة واحدة: الضعف او الوهم. الضعف في الرابطة متعددة الاطراف عبر الاطلسى، والبرهنة الفاضحة على ذلك اذا ما اقتضى الامر عن الانكسارات السياسية للاتحاد الاوروبى التي تفصل بين معسكر الاطلسيين الصامدين ومعسكر انصار اوروبا المدافعة عن استقلاليتها.

ان الكشف عن هذه الانقسامات الموروثة عن مرحلة الحرب الباردة

الجدل حدود وسيلة الردع التي يمتلكها حق النقض "فيتو" في مجلس الامن.

اننا نشير على الدوام الى القوة الردعية لحق النقض "الاممي" ذاهبين الى حد الحديث عن "سلاح نووي دبلوماسي"، ومعناها اننا ننسى ان الردع لا يمكن فقط في التهديد المعتبر عنه بخصوص طرف ثالث، لكن في مدى مصداقية هذا التهديد.

ان التهديد باللجوء الى استخدام الفيتو ليس قابلاً للتصديق ولا يمكن ان يضفي عليه طابع الردع الا عندما يكون صاحب حق النقض يمتلك الوسائل في تغلب وجهة نظره.

فاما ان تخضع الدولة الى القواعد المتعددة الاطراف، وامام مواجهة التهديد باستخدام حق النقض ضدها تتخلى عن عملها، ولما انها تفضل حماية مصالحها وتتخلى عن القواعد متعددة الاطراف وتتصرف بما يملئ عليها مصالحها.

ان العمل من خارج الاطراف متعدد الاطراف ليس ممكناً الا في اطار حالة الالتماشية في القوة.

ان فرنسا المزدانتة بوسائل "حق النقض" والمسلوبة من الوسائل الحقيقة لهذه القوة تتعرض هكذا الى فشل دبلوماسي ذو اثار يصعب حصرها. وفي حالة عدم امتلاك القوة للاعتراف على الحرب فإن المفید والجوهرى كان يمكن في الحفاظ على توازن الحف و وبالاخص على المحافظة

في بالإضافة إلى "الإرهاب الإسلامي" أضفت العرب ضد "الدول الواقية"^(*) التي تدعم الإرهاب وتسانده، أو تهدد توازن الكفة الأرضية من خلال اتباعها سياسات الانتشار مثل كوريا الشمالية. وهكذا فقد وجد العدو الجديد، ويرى أن "محور الشر" بدأ يحل محل "إمبراطورية الشر".

إن الحرب على الإسلام، والارهاب، والدول الواقية هي أهم المرتكزات التي تساعد على إعادة تدعيم الهوية الغربية في ظل الهيمنة الأمريكية.

ويشرح إيمانويل نود في كتابة الأخير بعد الإمبراطورية كيف تعاون الولايات المتحدة الأمريكية وتركب رأسها في صناعة الأعداء من أجل المحافظة على "هم عدم استقرار كوكب الأرض، وخطورته الذي سيكون في حاجة دائمة إليها من أجل حمايته".

وبحسب رأيه إن الإرهاب العالمي ما هو الا خرافية، وسيبقى تنظيم القاعدة ظاهرة اسطورية تسمح للولايات المتحدة الأمريكية برفع الإرهاب إلى "مركز قوة عالمية"، وMaisse "حالة حرب دائمة على صعيد الكفة الأرضية"⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من ذلك، انه من الممكن التأكد ان الإرهاب ليس اختراعاً للولايات المتحدة الأمريكية.

ان "محور الشر" يتخذ شكل واقعة جيوبوليتية، حاله حال "إمبراطورية الشر" للرئيس السابق

وتعريتها قادت الى حدوث انفجار في الاطار المتعدد الاطراف. لقد كان من الممكن ان تعطى أوروبا الموحدة قوة للموافق الفرنسية، الا ان تعريف سياسة خارجية وامنية مشتركة وانجازها تتبقى قيد الانجاز.

ومن جانب آخر يمكن ان نتساءل حول مدى ملائمة توسيع الاتحاد الأوروبي، السابق لوانه بدون شك تضر الدول انصار الاطلسية وموقعها مثل بولندا وجمهورية التشيك او هنغاريا.

نحو فك التقارب الاستراتيجي بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية؟

ان الازمة العراقية هي المظهر الجاد للتباين العميق بين صفاتي المحيط الاطلنطي حول طريقة تقطيع العالم وضيبيه.

فمنذ انهيار الاتحاد السوفيتي لم يعد الغربيون يعتمدون -منذ ذلك الحين- في بناء هويتهم على معاداة "إمبراطورية الشر".

وعلى الرغم من ان الغرب لم يعد له الاعداء، الا ان الولايات المتحدة الأمريكية تحاول خلق اعداء جدد محاولة منها اعادة بناء وحدة المعسكر الاطلنطي في الاثناء، حيث ان صموئيل هنتكون سيكوننبي هذه الاستراتيجية القائلة بأن الاسلام سيجايه الغرب في صدام حضارات لا مفر منه، وقد شكلت احداث الحادي عشر من ايلول تمهد لها هذا الصدام المستقبلي.

رونالد ريفغان التي كانت واقعة تاريخية.

فمن يجرؤ اليوم على الاعتراف على ملائمة التحليل وصحته الذي قادته ادارة الرئيس ريفغان في ذلك الوقت؟

وهكذا فإن شرط تغيير الطور الاستراتيجي بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية قد اجتمع في اليوم، ان اختفاء العدو السوفيتي قد جعل القوة الأمريكية أقل نفعاً وأفاده في اعين الأوروبيين بشكل لا جدال فيه، الذين حاولوا في نفس الوقت التعبير عن هويتهم الدواعية الخاصة ولائهم الجماعي؛ ان الحرب على الإرهاب غداة الحادي عشر من أيلول لا تشكل هدفاً يسمح بتوحيد الحلفاء حول استراتيجية مشتركة.

ومن خلال اللجوء إلى القوة بذرعة الحرب ضد الإرهاب دون موافقة الحلفاء الأوروبيين باستثناء بريطانيا العظمى وإسبانيا فإن الولايات المتحدة تعيد الذكر للمرأفين - هكذا بالدور الذي يمكن ان تلعبه سيادة القوة، او القوة بشكل ادق كاحدى الاتجاهات للسياسة الخارجية لدولة ما، ومن خلال ذلك ترسم انحرافاً استراتيجياً بين القارئين، في الوقت الذي تفضل فيه فرنسا وبشكل عام أوروبا دور الدبلوماسية كأدلة لتنظيم العلاقات الدولية وضبطها.

ان اطروحة روبرت كاغان Robert Kagan الفائلة بأن أوروبا قد

حدثت عن القوة من خلال الدخول في عصر جديد، في جنة ما بعد التاريخ، والتي لا توجد فيها سوى الطمانينة والهدوء والرفاهية بشكل دائم^(١).

ان دخول أوروبا في عصر السلام الابدي المطابق للنموذج المثالي للفيلسوف كانت، لم يكن من الممكن حصوله الا لكون الولايات المتحدة الأمريكية بقيت "محولة ومتورطة" في التاريخ ناشرة قوتها العسكرية عبر انحاء العالم الفوضوي.

اما في أوروبا فينظر إلى استخدام القوة من قبل الرأي العام بشكل اكثر فأكثر فقداناً للأعتبار لصالح اللجوء إلى القانون، والتفاوضات والتعاون بين الأمم.

ان قيم التعاون، واحترام القانون الدولي، وباختصار الشرعية الدولية والعمل مع المجتمع الدولي، هي بكل تأكيد قيم محمودة تشكل نماذج رئيسية للسياسة الدولية؟ الا انها يجب ان لا تكون عذراً لتصل الديمقراطيات من مسؤولياتها القيمية فجأة الانظامة الاكثر طغياناً في الكره الأرضية.

ان احترام العدالة الدولية، يجب الا لا يفضي كذلك إلى الاعتراف بـ"حق الطغاة" في تقرير مصيرهم بأنفسهم^(٢).

وكما قال روبرت كاغان Robert Kagan "ان أوروبا تتظر إلى العالم بأعين الضعفاء"، فنادماً ما يرحل الطغاة من تلقاء أنفسهم، وكيف لا يمكن لنا الذكر بأن ميلوسوفيش، وصدام

اكثر فأكثر كاشفة للعيان التباين في القيم، ان الولايات المتحدة قوة في حالة حركة دائمة تتبع مبدأ الحركة المستمرة. ويكشف تاريخها انها تمتلك طعم وروح المغامرة بينما تبدو أوروبا في نفس الوقت مجده وشروعها في اعتقاداتها مجرد من كل قدرة على تقديم المفترضات والقيام بالافعال.

ان الازمة العراقية قد ساهمت

في احياء شبح مرض عام ١٩٣٨ وهو العارض المرضي لعجز الديمقراطيات الليبرالية في مواجهة انتفاضة الطغيان. ان عجز أوروبا عن تسوية الازمات الأوروبية دون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية كما ظهر اخيراً في ازمة كوسوفو، لا يمكن الا ان يعزز من المخاوف تجاه "التردد" الأوروبي.

ان عبارة جيمس هلمس القائلة بأن "الاتحاد الأوروبي عاجز حتى على مضي علامة لينة" هي عبارة واضحة جداً^(٢).

الا ان أوروبا لا يمكنها ان تبقى قذماً سياسياً وعسكرياً الى الابد والا فقدت مصداقتها. ان "القوة الناعمة" بدون "القوة الخشنة" لا تطفي لترسيخ مكانة الدولة وقوتها، ان يمكن ان تستند دائماً طبيعة القوة الحقيقة الاقتصادية والعسكرية والثقافية، والحقيقة تكمن هنا: ان العالم غير المؤتّق الذي انبثق بعد احداث الحادي عشر من ايلول يذكرنا ان القوة العسكرية تبقى المحدد الاول للقوة وهذا بالتأكيد لا يروق ولا يرضي انصار

حسين او نظام طالبان لم يسقطوا سوى على انّ استخدام القوة ودفع من الولايات المتحدة الأمريكية؟

ولذا كانت ادارة الرئيس كلينتون قد تركت مكانة واسعة "للقوة الناعمة" كاداة للسياسة الخارجية، فـان ادارة الجمهورية عرضت "القوة الشديدة الخشنة" كطبق من اطباق اليوم^(٧).

وي بعيداً عن الولسونية الاصلية، اختارت الولايات المتحدة الأمريكية السياسة القائمة على استخدام القوة العسكرية واللجوء الى القوة في سبيل ضمان تحقيق السلام في العالم.

يمكن هنا ان نلوم السيد روبرت كاغان في سوء تحليله للمرجع الفلسفية التي استند عليها عندما اراد تعزيز حجمه، لاسيما هو بين وكانت بالاخص، او كذلك باللجوء الى الاندراك التقليدي الضيق لمفهوم القوة في الماضي^(٨).

وهذا بطبعه الحال لا يقل من ان تحليله كان قد ركز على نقطة وثيقة الصلة:- ان صفتني المحيط الاطلنطي يمكن ان اليوم رؤيتان مختلفتان جداً عن تنظيم العالم.

وبكل تأكيد اذا هذا التباين ليس فقط من تاريخ الامس، لكن احداث الحادي عشر من ايلول اعطتها بعداً جديداً وكشفت عن عجز الأوروبي في تبني استراتيجية خاصة.

ان الهوة بين اوروبا والولايات المتحدة الأمريكية تتعقد في كل يوم

يجب ان لا تعتمد سوى على قوتها من اجل ضمان امنها.

هناك حقيقةان تختفيان وراء سياسة الانفراد بالقرار والفعل عالمياً:- انه او لا مظهر من مظاهر العظماء، وكذلك القدرة على العمل منفردا دون مساندة اي كان^(١).

ان القوة والانفراد بالقرار والفعل هما شيء واحد نظرا لان القوة هي شرط انتهاج سياسة الانفراد. ان الانفراد بالقرار والفعل هو كذلك مظهرا صارخا لضعف اولئك الذين ينتقدون الانفراد، ومعذها دول اوروبا "القديمة".

ان "عظماء" الولايات المتحدة، اذا ما افترضنا ان هذا المفهوم له معنى، هي او لا واضحة من خلال الانفراد في الضعف او "عجز القوة" لاوروبا؛ ان الولايات المتحدة الامريكية تدرك جيدا بأنه لا يمكنها الاعتماد الا على نفسها من اجل ضمان امنها ومن ثم ضمان امن العالم الحر.

ان رفض العمل المشترك مع المجتمع الدولي والشرعية الدولية ليس كلبا من جانب آخر. ان الولايات المتحدة تبقى مرتبطة طالما ان ذلك يمكن ان يخدم مصالحها.

ان عبارة "الشرعية الدولية" والعمل المشترك مع المجتمع الدولي حسب الطلب" التي اطلقها ريتشارد هايسن تلخص جيدا هذا الموقف.

ان الشرعية الدولية والعمل المشترك هو ابتکار امريكي، او تحديدا

اوروبا المتطلعين لان تصبح القارة قوة عظمى مجردة من هدف عسكري ذو مصداقية.

ان الدولة يمكنها ان تشع على العالم اجمع باتفاقها وان تبقى قزما سياسيا، وحتى لو افترضنا امكانية امتلاك اوروبا في يوم ما - قوة عسكرية مشابهة لقوة الولايات المتحدة الامريكية فإن الاحتمال سيكون قليلا في حصول الاجماع عند استخدامها. وفي استطلاع حديث كان ٩١٪ من الفرنسيين الذين سئلوا ينتمون ان تصبح اوروبا قوة عظمى^(٢).

لكن هل ان الاراء العامة الاوروبية مستعدة للموافقة على اعطاء مكانة اكبر اهمية لاتفاقيات التسلح ضمن الميزانيات الوطنية وقبول اللجوء الى استخدام القوة كوسيلة لتسوية العلاقات الدولية عندما يكون ذلك ضروري؟

لا يوجد هناك تتفاوض بين الرغبة في ان تصبح اوروبا قوة عظمى دون اعطائهما الوسائل الضرورية لذلك؟

هناك اسئلة عديدة مطروحة وعلى الاوروبيين الاجابة عليها اليوم. سياسة الانفراد بالقرار والفعل عالميا والربيعية والحذر من العمل المشترك ان معارضته فرنسا لنوايا وتصنيف الولايات المتحدة الامريكية قد عزز في ثقة هذه الاخيرة بنفسها وبأنه

النظام الدولي. فالبنسبة لبير هاسنير Pierre Hassner: ان تفسير هذه القطعية مع الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي يجب ان يبحث بشكل مباشر من خلال احداث الحادي عشر من ايلول^(١).

لقد افتعلت الولايات المتحدة الامريكية بامكانية تعرضها للخطر ومن ثم فأنها الوحيدة التي يمكن ان تفعل شيئاً من اجل المحافظة على مصالحها.

ولهذا السبب فأن الحرب التي قادتها منذ ذلك الوقت - ١١ ايلول - هي حروب غير مشابهة لحرب فيتمام او الحروب العالمية الثانية. ان الولايات المتحدة مقتنة اليوم لخوض الحرب من اجل المحافظة على مصالحها الحيوية، او حتى المحافظة على بقائها في المدى المتوسط. وضمن هذه الرؤية فان سياسة الاحتواء التي قادها جورج بوش الابن هي سياسة واقعية، وهي سياسة تهدف الى ضمان امن الولايات المتحدة قبل كل شيء في العالم غير المستقر بعد الحادي عشر من ايلول من خلال الحرب ضد الارهاب والدول "الزفاقة".

ان اهداف هذه السياسة ليست بعيدة عن الموقف الانعزالي اذا ما كانت هذه السياسة منكفة نحو الداخل. ويعينا عن كل مثالية فان الولايات المتحدة الامريكية اعتمدت سياساتها الخارجية في الاطار الجيوPolitical الجديد المتبع من احداث الحادي عشر من ايلول. زد على ذلك

ثمرة المفهوم المثالي الولنسي للعلاقات الدولية.

ان عصبة الامم ومنظمة الامم المتحدة قد عملتا كادتين تسمحا من خلال ميكانيكيات الامن الجماعي بضمان استقرار العالم وتجنب حروب مدنية اوروبية جديدة قد تتطلب تدخل الولايات المتحدة لاعادة السلام اليها. الا ان الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي هو اليوم مدرك من قبل الولايات المتحدة كحاجز لقيادة سياسة هادفة الى ضمان امنها.

ان الانفراد بالقرار والفعل عالمياً يشكل للولايات المتحدة الطريق الوحيد الممكن من اجل ارساء الاستقرار في العالم ومن ثم تحقيق امنه. السياسة الخارجية لجورج بوش الابن بين الواقعية والمثالية.

ان الفعل الانفرادي للولايات المتحدة يفسر هذا من خلال وعيها بعدم امكانية ضمان الامن في الاطار المتعدد الاطراف، وفي حفظ الافرة الامريكية وال الحرب ضد الارهاب الذي يتطلب حسب دارة بوش الى القوة؛ لكن مثل هذا موقف هو اليوم موقف غير مقبول عند اغلبية حلفاء الولايات المتحدة الامريكية الاوروبيين.

ان احداث الحادي عشر من ايلول، وفي هذا المجال، قد غيرت ما لا يقبل الجدل تلك المعطيات.

ان نوعاً من "الاميرالية الليبرالية" قد برز اليوم^(٢) مرتكزاً على اللجوء الى القوة كاداة لاعادة بناء

كان هذا الشيء أو ذاك في مصلحة الإنسانية مع الوعي بالدور العالمي للولايات المتحدة الأمريكية^(١٥).

وعليه يرد جورج والكريوش "أنه ليس من الممكن الحياد بين العدالة ومصائب الدهر، بين البرى والمذنب، إننا في نزاع بين الخير والشر، وإن الولايات المتحدة الأمريكية تسمى الشر باسمه. عندما نحارب ضد الشر وضد الانظمة التي هي بلا دين ولا خلق، فإننا لا تخلق بذلك مشكلة جديدة، بل إننا نكشف عن مشاكل قائم موجود، وإننا نقود الأمم الأخرى من أجل معالجته"^(١٦).

هذا الفن من البلاغة هو ليس بعيداً عن إعادة التذكير بخطابات ونستون تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية، واصفاً معركة العالم الحر ضد قوى الشر.

اما بالنسبة لودرو ويلسون فلن طبيعة الانظمة هي التي تحدد طبيعة العلاقات الدولية. ان الديمقراطية الليبرالية لا تقدم على عمل الحرب مع الديمقراطيات الليبرالية الأخرى. ومن خلال ذلك يتضح اذ بعض الانظمة هي على خلق عال افضل من انظمة أخرى. وبعبارات أخرى فإن قوة الولايات المتحدة الأمريكية قد وضعت في خدمة الإنسانية وتطوير الديمقراطية الليبرالية طبقاً للنموذج الأمريكي. ففي المفهوم الويلسوني للعلاقات الدولية، اذ نشر الديمقراطية في العالم هو عنصر سلام (اداة) ويسمح بضمان

انه ليس من المؤكد ان بيل كلينتون كان سيتبع سياسة مختلفة جنرياً في اطار دولي مشابه.

ان قراءة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية هي مع ذلك اكثر تعقيداً مما تبدو عليه، نظراً لأنها مبنية كما وضح ذلك بيير هاسنر Pierre Hassner اطلاقاً من خليط ايديولوجي يمزج بين الانعزالية والانفراد بالقرار والفعل عالمياً، والمثالية والعالمية الاممية^(١٧).

وعلى الرغم من خاصيتها الواقعية، إلا انه فعلاً وبما لا يقبل الجدل فإن سياسة جورج بوش الابن هي كذلك سياسة مشربة بالمثالية. فوراء الحرب على الإرهاب يظهر هدف آخر: الرغبة في تطوير الديمقراطية في الشرق الأوسط بدءاً بالعراق.

هذه السياسة تتدرج في التوأمية المجلة من قبل انصار الرؤية المثلية للعلاقات الدولية. إننا نجد بالفعل في خطاب الرئيس جورج بوش بعض العبارات الويلسونية. ان "محور الشر" الذي عرفه جورج بوش في خطابه حول حالة الاتحاد يوم ٢٩ كانون ثاني ٢٠٠٢ يذكرنا الى حد ما بعبارة "النظام الجيد للأشياء" التي اطلقها الرئيس روبرت ويلسون. ان وجود "محور الشر" يدعو الى المعركة من اجل الخير. وفي عام ١٩١٩ صرخ ولسن ان المسألة المهمة الوحيدة لمستقبل الإنسانية كانت في معرفة اذ

ومن جديد فإن محاولة الانفراد بالقرار والفعل عالميا هي محاولة تستحق النقد. وكيف يمكن أن تجحب من هذا الموقف بمقدار ما أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعطي الثقة إلى الأمم المتحدة ولا إلى حلفائها لا من أجل إدارة آثار الحرب التي لم يرغبوها ولا من أجل إدارة تقلبات العالم ما بعد الحادي عشر من أيلول؟ الخلاصة الثانية تتعلق بمستقبل الحلف الأطلسي على المدى المتوسط. فما هو المعنى الممكن اعطاؤه إلى الحلف في الاطار الجيوبيوليتي المتقلب في الوقت الذي يتطلع فيه الحلفاء إلى شراكة سياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية؟ وكما وضح لورشوهين فإن القيم المشتركة من قبل الرأي العام في أوروبا وفي الولايات المتحدة الأمريكية هي عديدة جداً بخلاف الانقسامات التي يشغلنا بها زعمائهم^(١٠).

إن الشعوب تواصل في تقاسم نفس الرؤية للعالم ونفس المخاوف معتبرين انفسهم دائماً كحلفاء صليبيين. إن استطلاعاً تم اجراؤه من قبل مؤسسة جيرمان مارشال German Marshal ومعهد شيكاغو للعلاقات الدولية Chicago Council On Foreign Relations؛ قد يبين بأن اغلبية الأمريكيين الذين سئلوا كانوا يقطلون الحرب، شريطة أن تقوم بموافقة الحلفاء وموافقتهم^(١١). إن الرأي العام الأمريكي لا يرفض مبادئ التعاون، واحترام العدالة

الولايات المتحدة تقرّ بـ باستخدام هيمتها لأنها منفوعة بالرغبة والحب في اليمنة وفرض (الخوة) على العالم، وبيدو ذلك من خلال النظر إلى البحث على صدام الحضارات الشهير من أجل القضاء على العلم الإسلامي.

إن الولايات المتحدة الأمريكية قد تفقد صوابها هكذا من خلال جسر العالم في غليرة غير محسوبة من أجل ثبات حبابية مطلقة منها: وضع اليد على النزول، ومصلحة رجال الأعمال، والبقاء على الإسلام... هذا المنطق يجد نتيجته عند جزء من الرأي العام في العبارة الغريبة: لا لـهذا ولا ذاك: لا لـain لـاذ ولا لـوش، أو في يعلتها: لا لـصدام لا لـوش... .

إلا أن سياسة الایزية لم تشجع حتماً على توضيح الحوار أو النقاش. إن مثل هذا الخلط يعود إلى نفي القيم الأولية التي تحملها أكبر ديمقراطية في العالم.

يمكن لنا أن نلاحظ خلاصتين من الأزمة العراقية الأولى هي أن اضعاف الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي سيعمل بالضرورة على تعقيد إدارة مرحلة ما بعد الحرب.

إن الولايات المتحدة الأمريكية ستحاول حتماً إدارة مرحلة ما بعد الحرب في العراق وحدها إلا إذا كانت هذه الإدارة مرفوضة من قبل الشعب العراقي، فإن واشنطن سترى أنـ أنها مجبرة على مخرج متعدد الأطراف لازمة.

والتي كانت أولى انتقاداتها تنسى رئيس الولايات المتحدة الامريكية وساهمت في الجعل من شخصية رسولاً أو مبعوثاً^(١٦).

وهكذا، فإن جورج والكر يكون مسؤولاً من المميزات الا التي تتضمن رجل الدولة، ومن خلال الانتقادات فإن النخب الفرنسية معايرها الخاصة بها فيما يجدهون عليه رجل الدولة في الولايات المتحدة الامريكية.

وهكذا فإن الولايات المتحدة الامريكية استطاعت ان يكون بالتعاون قصصان تمثلت في الرئيس هاري ترومان او ممثلو سابقين تمثلت بشخصية الرئيس ريتشارد نixون، وبمقدار ما تعلق الامر بذلك فإن الاثنين كانوا من كبار اثنينما استطاعا قيادة السياسة الامريكية في ذلك الاطمار التعبارات اخرى كان الرجال احسان بالتاريخ ولكن على من ان لا هذا ولا ذاك كان شهادات جامعية لم يمنع من احتمال قبول النخب السياسية من قبيل اصحاب عصرهما^(١٧).

انه لا يزال مبكراً ما الحكم على سياسة جورج والكر بل من الملائم فقط الاحتفاظ التجارب التاريخية في الذاكرة كل خلاصة مبكرة، اما عن الانتقاد الثاني فهو محتوى سياسة جورج والكر

امن الولايات المتحدة الامريكية، ولهذا فإن المتأللة تخدم اهداف السياسة الواقعية ومعناها تحقيق الامن.

اذ سياسة حورج والكريوش تدرج كذلك وبشكل مباشر في استمرارية السياسة الوليمونية الجديدة للرئيس رونالد ريغان، وهكذا اذ ما فعلناه لم يكن سوى التذكير بالتمثيل او الشابه بين تعبير "امبراطورية الشر" وتعبير "مور الشر"، الذي هو خليط بين الواقعية والمتأللة.

لكن على خلاف دور ويلسون الذي كان يرى في الشرعية الدولية والعمل المشترك مع المجتمع الدولي والتعاون بين الامم افضل وسيلة لضمان الامن الدولي، فإن إدارة الجمهوريين اليوم تراهن على تحقيق الديمقراطية والامن في العالم من خلال استخدام الاسلحة، وهو ما دفع ببيرتر هاسنير Pierre Hassner الى القول ان السياسة الخارجية لجورج والكريوش يتسمى الى "الوليمونية المتأللة"^(١٨). انها اذن ليست خروجاً عن القياس التاريخي لكن توجد جذورها في التقاليد السياسية للولايات المتحدة الامريكية.

الانفراد بالقرار والفعل عالمياً وزيادة حدة الاحساس المعادي للولايات المتحدة الامريكية احدى النتائج الاخرى للسياسة الفرنسية-وليسن النتيجة الاقل طبيعياً- تمثلت في تعذية صعود العداء للولايات المتحدة الامريكية في فرنسا طوعية،

مصلحة حقيقية بأن تتباهى علينا بالرئيس بشار الأسد، حيث ان سوريا كانت الدولة العربية الوحيدة التي ساندت رسمياً صدام حسين ضد الولايات المتحدة الأمريكية؟ بكل تأكيد لا، الا اذا كانت فرنسا ترغب في ترسيخ سياسة معارضة للولايات المتحدة الأمريكية. هناك معاينة اخرى تتمثل في الضعف السياسي والاستراتيجي لأوروبا. وبالفعل ان حال اوروبا يرش لها، لكن الواقع هو كذلك حيث ظهر عبر السياسة الفرنسية: ان اوروبا لا تساوي شيئاً على مسرح القوة. ان الطريق لتحديد سياسة دفاعية مشتركة جديرة بهذا الاسم هو طريق طويل. ان الأوروبيين لا يمكن ان تتحقق امانيهم وتستجاب لها الا في ذلك الوقت الذي تصبح فيه اوروبا قوة عظمى قادرة على المنافسة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ان الازمة العراقية كان لها الفضل اخيراً في توضيح مبدأين اساسيين للادارة المتعددة الاطراف للعلاقات الدولية. فعندما يكون ضبط النظام الدولي وتنظيمه مهيمنا عليه من قبل قوة عظمى لا منافس لها وموكول الى منظمة دولية، فإن التوازن التعلوني لا يمكن المحافظة عليه الا عندما تكون الاصداف المرسومة من قبل هذه القوة العظمى مقبولة من قبل اغلبية اعضاء "الجامعة" الدولية، وفي حالة التباعد

الدولية وهو ما يعمل على تقريبها مع الرأي العام الأوروبي.

ان السؤال اذن هو معرفة ما اذا كان الدفاع عن القيم المشتركة في ضيق المحيط الاطلسي سيكون كافياً من اجل السماح بتجاوز هذه الازمة العميقه اكثر من ما هي تبدو عليه؟ لاسيء مؤكداً!

ان الاستراتيجية الفرنسية قد فشلت لأن الحرب قد وقعت، وان انتصار الولايات المتحدة الأمريكية كان انتصاراً سريعاً، وان الطاغية قد سقط. وعليه فإن موقف فرنسا أصبح هنا مما دفع بفرنسا لأن تبحث من هنا فصاعداً على استعادة اللعبة من خلال التقارب مع بريطانيا العظمى التي تمثل اليوم نقطة الوصول الوحيدة القابلة للتصديق بين الولايات المتحدة وأوروبا.

ان اعادة اعمار العراق، وتحديد دور الامم المتحدة في ادارة مرحلة ما بعد الحرب ستكون اكثر من مناسبة لاعادة ربط خيوط المفاوضات مع واشنطن.

لقد اسهمت السياسة الفرنسية تلك وبدون شك في تغذية التيار المعادي للولايات المتحدة الأمريكية بين الرأي العام الفرنسي. ان آثار التهجمات على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية يمكن ادراكتها من هنا فصاعداً في الرأي العام. وإذا كانت فرنسا ستُريح كل شيء عندما أصبحت المسنة الاول للدول العربية في الغرب، فهل لها

^(١)V.D Hanson "Adieu à l'Europe" Le Débat n;123 janvier- février 2003.

^(٢)European Public Opinion and Foreign Policy.

ومن المفيد ان نذكر ان ١٧% من الأوروبيين يرون ان لا ضرورة لوجود قوة عظمى، وهو رقم يرتفع إلى ٢٥% في المانيا والاراضي المنخفضة.

^(٣)L.Cohen Tanvgi, opcit p:43 وتعني الكلمة: Unilateralisme الانفراد بالقرار والفعل عالمياً ومعناها تعبيراً عن تصرف الدولة طبقاً لرؤيتها الخاصة ومصالحها الخاصة، وهذا يفترض - بشكل طبيعي - امتلاك القدرة من اجل تأمين احتياجاتها الخاصة.

^(٤)D. Vernet "Le dilemme européen" Commentaire n;100, hiver 2002-2003.

^(٥)P. Hassner "Puissance et légitimité" op Cit p:787.

^(٦)P. Hossner "Etats Unis: l'empire de la force ou La force de l'empire? Cahiers de Chéquillot, n;54 Paris, Institut de sécurité de l'Union européenne 2002.

^(٧)"هذا هو عصر يتطلب نظاماً جديداً للأشياء والذي يكون المسؤل فيه هو التالي: هل هذا جيد؟ وهل هذا عادل؟ وهل هو في مصلحة الإنسانية". ذكره:

G. Chalabot et A. Bin America is Back: Les nouveaux Césars du Pentagone, Paris, Bayard 2003, p.107.

^(٨)من خطاب في ١ حزيران ٢٠٠٢ في Point

^(٩)P. Hassner "Etats Unies" l'empire de la force ou la force de l'empire?" op Cit. P:8.

^(١٠)L. Cohen-Tanvgi, 2003, opCit P:2 et P:39.

^(١١)R.D. Kaplan, La Stratégie des guerriers, Paris Bayard 2002, p:58.

^(١٢)L. Cohen-Tanvgi, 2003, Op Cit P:204.

^(١٣)دراسة متاحة على شبكة الانترنت لموقع: German Marshall Fund of the United States "www.Gmfus.Org". المصدر

Irak: et si la France S'était trompée? Pascal CVCHE Politique étrangère 2/2003.

العميق بين القوة العظمى ودور المجموعة الدولية، فإن النقل الموازن للقوة العظمى وحده فقط يمكن أن يسمح بتجنب عن الأطراف المتعددة الأطراف.

وبعبارات أخرى فإن النظام المتعدد الأطراف لا يمكن أن يرضي ويقمع بتغيير الطور الاستراتيجي دائماً في حالة لا تماثل القوة.

وإذا كان لا بد للتطور الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا أن يستمر فإن زيادة القوة الأوروبية وحدها الكفيلة بأن تبقى الولايات المتحدة الأمريكية في اللعبة المتعددة الأطراف.

^(١)استطلاع اجرته لومند لصالح قناة فرنسا الأولى TFI، ظهر في جريدة لوموند الفرنسية بتاريخ ١٦ مارس ٢٠٠٣.

^(٢)L. Cohen-Tanvgi, Les Sentinelles de la liberté, Europe et les Etats-Unis Au seuil du xxIe siècle, Pqrts Odile Jacob 2003, p.49.

^(٣)اطروحة دافع عليها ايمانويل تود في كتابه بعد الامبراطورية Essai sur la décomposition du système américain, Paris Galimard, 2002.

^(٤)ان عبارة الدول الزفاقيّة، او عبارة الدول الشاشة هي اقرب لفظاً ومعنى من عبارة الدول المارقة التي يستخدمها اساتذتنا العرب، وهي ترجمة للعبارة الفرنسية Etats Voyous او العبارة الانجليزية Rogues States. (المترجم).

^(٥)نفس المصدر، ص: ١١.

^(٦)R. Kagan, Power and Weakness" Policy Review n-113, 2002.

^(٧)Y. Michaux "le cauchemar de la démagogie" Libération 2/4/2003.

^(٨)J. Nye- The Paradox of American Power (Oxford University Press, 2002).

^(٩)R. Kagan. La notion de Pouvoir est essentiellement militaire. Voir notamment. P. Hossner "Puissance et légitimité" Commentaire n;100 hiver 2002-2003, P: 785.

